في حق نبينا بما في ما ابتدع النصارى ولما نعتقده وإن شئت وصفه بغيرها فقولوا عبد الله ورسوله
وفيه إيماء إلى قوله تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله وكلمته وفيه إشعار بأن ما عدا نعت الألوهية والوصف بالربوبية يجوز أن يطلق
عليه عليه السلام ولهذا أشار صاحب البردة بقوله دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت
مدحا فيه واحتكم هذا وقوله إنما أنا عبد الله فتمم التنبيه أن ليس شيئا من مقامات الفضل والعمر فيه إضافي
كما يبنا في أن له أوصافا من الكمال غير العبودية والرسالة منها السيد ولد آدم والكريم وما أحسن قول
ابن الفارض أرى كل مدح في النبي مقصرا وإن بالغ المثني عليه وأكثرا إذا الله أثنى بالذي هو أهله
عليه فما مقدار ما يمدح الورى ولقد أحسن من قال فيما رأيت أن لا بأن مدحت محمدا بمقالتي بل قد مدحت
مقالتي بمحمد أقول ولكن في مدحه مجملا لأنه محمد يحمده الأولون والآخرون وأنه أحمد من حمد وأحمد من
حمد وله المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود والشفاعة العظمى في يوم مشهود وآدم ومن
دونه تحت لوائه ذلك يستغني أحد عن حمده ومدحه وثنائه هذا الحديث في باب تواضعه حيث اقتصر على
مجرد الرسالة والعبودية نظرا إلى كمال نعوته زيادة من الألوهية والربوبية فهو ليس من قبيل التنزل
بمحض هو دونه بل من باب تعظيم من فوقه حدثنا علي بن حجر أنبأنا وفي نسخة أخبرنا سويد بن عبد العزيز
عن حميد بالتصغير عن أنس بن مالك أن امرأة أي كانت وفي عقلها شيء كما في رواية مسلم وعند البخاري
امرأة من الأنصار وفي رواية ومعها صبي لها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن لي إليك حاجة أراد أن يخفيها
عن غيره فقال اجلسي في أي طرق المدينة شئت أي أردت أجلس إليك أي أحضر لقضاء حاجتك
نفسي بأن أرضي ... أي طريق من طرق المدينة أردت أجلس بجزم في جواب الأمر أقعد إليك
في ذلك الطريق متوجها إليك وأعينك حتى أقضي حاجتك وفي رواية مسلم انظري أي السكك شئت حتى أقضي
حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها وكذا رواه أبو داود وفيه دليل على جواز الجلوس
في الطريق لحاجة والنهي عنه محمول على من يؤذي أو يتأذى بجلوسه فيها قال العسقلاني نقلا عن المهلب
لم يرد أنس أنه خلا بها بحيث غاب عن أبصار الناس ممن كان معه وإنما خلا بها بحيث لا يسمع من حضر شكواها

من حضر معها قال العسقلاني لم أقف على اسم المرأة وقال ميرك رأيت في كلام بعض من
كتب الحواشي على كتاب الشفاء أن اسم هذه المرأة المذكورة في طريق مسلم أم زفر ماشطة
خديجة وغلطه سهوا فإن أم زفر ليست من الأنصار وقد روى البخاري صريحا أنها أنصارية
حتى ورد في بعض رواياته أنه قال والذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إلي زاد بهذا وفي
رواية وهب بن جرير عن شعبة ثلاث مرات انتهى إلا أن يقال إن المرأة المذكورة في رواية
مسلم غير المذكورة في رواية البخاري لكن الظاهر اتحاد القصة كما هو الظاهر من سياق الروايات
هذا وعند البخاري من طريق هشيم عن حميد عن أنس قال كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت ولأحمد من هذا الوجه فتنطلق به في حاجتها وله من طريق علي بن زيد عن
أنس إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها
حتى تذهب به حيث شاءت وأخرجه ابن ماجه من هذا الوجه والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو
الرفق والانقياد وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكر المرأة دون الرجل والأمة
دون الحرة وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت وبقوله حيث شاءت أي من الأمكنة والتعبير بالأخذ
باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك
الحاجة لساعدها على ذلك وهذا دليل على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر وعند النسائي كان
حليما لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة وفي الحديث أيضا صبره على المشقة
في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأل حاجة وبروزه للناس وقربه منهم ليصل إليه ذوو الحقوق
إلى حقوقهم ويسترشد الناس بأقواله وأفعاله وتتأسى به حكام أمته ويحملهم على أن
يقتدوا به في ذلك حدثنا علي بن حجر أنبأنا وفي نسخة أخبرنا علي بن مسهر بصيغة الفاعل مخففا
عن مسلم الأعور المشهور عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض أي ولو كان
حرا أو عبدا شريفا أو وضيعا حتى لقد عاد غلاما يهوديا كان يخدمه وعاد عمه وهو مشرك ودعاهما
عليهما الإسلام فأسلم وقصته في البخاري وكان صلى الله عليه وسلم يأتي المريض ويجلس عند رأسه ويسأل عن حاله